

http://t.me/altaseelalelmi

(اضغطي على الرابط للوصول إلى القناة)



التأصيل العلمي

١

الباب الستون: باب ما جاء في منكري القدر

علِّلي: عقد الشيخ -رحمه الله تعالى- هذا الباب في كتاب التوحيد

ليُبين أن الإيمان بالقدر من الإيمان بربوبية الله تعالى

ومن أنكر القدر فقد أشرك في توحيد الربوبية

والذي لا يؤمن بالقدر لا يؤمن بربوبية الله تعالى

لأنه جحد قدره وعلمه وأنكر أن يكون ما يجري في هذا الكون بتقدير الله ومشيئته

ووصف الله -تعالى- بالجهل والعجز

ما معنى "القدر"؟

إحاطة الله -تعالى- بالأشياء وعلمه بها قبل كونها

ثم كتابته لها في اللوح المحفوظ

فكل ما يقع في هذا الكون فهو داخل في علم الله -تعالى- الأزلي وفيما كتبه في اللوح المحفوظ

فكل شيء بقضاء الله وقدره ومشيئته وإرادته لا يخرج عن ذلك شيء من الأشياء

وأجمع على ذلك المسلمون إلا من ضلّ وانحرف عن منهج السلف من الفرق الضالة

وهؤلاء محجوجون بالكتاب والسنة وإجماع الأمة

وقال ابن عمر: "والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر"

لماذا أقسم ابن عمر رضي الله عنهما؟

لتأكيد الأمر وأهميته

ما سبب مقالة ابن عمر هذه؟

أنه ظهر بالبصرة في آخر عصر الصحابة بعد عهد الخلفاء الراشدين وبعد خلافة معاوية -رضي الله عنه- وفي آخر حياة ابن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة ظهر رجل يقال له: معبد الجهني، ينكر القدر وكان يحي بن يعمر وحُميد الحِمْيَري قدما إلى الحجاز حاجين أو معتمرين وقالا "سنسأل أول من نلقى من الصحابة" فكان أول من لقيا: عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- لقياه وهو يدخل المسجد الحام فأمسكا بكتفيه فقالا: يا أباعبدالرحمن حدث عندنا في البصرة رجل يقول كذا وكذا فكان هذا جواب ابن عمر "والذي نفس ابن عمر...." هؤلاء الذين ينكرون القدر



"مثل أحد ذهبًا" ← هذا أبلغ تقدير وأكثر تقدير

"ثم أنفقه في سبيل الله" ← النفقة في الجهاد في سبيل الله من أعظم النفقات أجرًا

فهو مبلغ كبير صُرف في مصرف عظيم

لكن هؤلاء إذا أنفقوا هذا وهم ينكرون القدر فإن الله لا يتقبله منهم

لأنهم لم يؤمنوا بالله والله لا يقبل إلا من المؤمنين

فهم كفروا لأنهم لم يؤمنوا بالقضاء والقدر

هل قال ابن عمر هذا القول من عنده؟ ← لا، لم يقل هذا من عنده بل لما قال هذه المقالة العظيمة ذكر دليلها من سنة النبي عليه الصلاة والسلام

فقال: "حدثني أبي" عمر بن الخطاب قال "بينما نحن جلوس عند....." إلى أن قال "وتؤمن بالقدر"

مراتب الإيمان بالقدر

١ الإيمان بعلم الله الأزلي بكل شيء وأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون

٢ أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء فالذي ينكر الكتابة في اللوح المحفوظ لم يكن مؤمنًا بالله ولم يكن مؤمنًا بالقدر

٣ إرادة الله ومشيئته للأشياء فكل شيء يقع ويوجد فهو بإرادة الله تعالى

٤ خلق الأشياء فكل شيء في هذا الكون فهو من خلق الله تعالى خيره وشره، كفر أو إيمان، طاعة أو معصية، غنى أو فقر، مرض أو صحة

لكن الشر بالنسبة إليه لا يكون شرًا لأنه خلقه لحكمة ووضعه في موضعه فهو بالنسبة إليه ليس شرًا، وإنما هو شر بالنسبة لمن وقع عليه ومن قُدر عليه بذنوبه ومعاصيه

فالحاصل أن كل ما يقع في هذا الكون عدلٌ ورحمةٌ وخيرٌ من الله -تعالى- وإن كان ضررًا لمن وقع عليه **وأهل السنة والجماعة يؤمنون بها كلها**





القدرية النُفاة على قسمين

القسم الأول

وهم القدماء ويُسمون "غلاة القدرية" فإنهم ينكروا علم الله

ويقولون "إن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها إنما يعلمها إذا وقعت وحصلت"

وينكرون علم الله القديم الأزلي بالأشياء قبل كونها

فيكونون بذلك

قد كفروا وخرجوا من الملة لأنهم أنكروا علم الله تعالى

القسم الثاني

من يُقِرّ بعلم الله الأزلي لكن يقول:

إن الله لم يقدر هذه الأشياء وإنما الناس هم الذين يفعلونها ويستقلون بإيجادها وخلقها كلٌ يخلق فعل نفسه

وهؤلاء أخف من الأولين لكنهم ضلّال لأنهم أنكروا خلق الله وهم متأخروا القدرية وسموا

"مجوس هذه الأمة" بل هم شرٌ منهم

لأن المجوس أثبتوا خالقَين وهؤلاء أثبتوا خالِقين كثيرين

هل يجوز للمسلم أن يدخل في تفاصيل القدر؟

لا يجوز ذلك لأنه يفتح على نفسه باب الشكوى والأوهام ولن يصل إلى نتيجة

بل يكفيه أن يؤمن بالقدر كما أخبر الله -تعالى- وكما أخبر رسوله أن كل شيء بقضاء وقدر

فالأمر كما يقول عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "القدر سِرُّ الله" سر لا يعلمه إلا الله تعالى

ماذا يجب على المسلم تجاه القضاء والقدر؟

يجب أن يؤمن به على ما جاء في الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ولا يدخل في تفاصيله

وأن يعمل بطاعة الله ويجتنب نهيه

فالمؤمن مطلوب منه العمل والإيمان بالقضاء والقدر

وأنت قادر على العمل

وأنت مُمَكّن من العمل

وأما البحث في الأمور التي لا يعلمها إلا الله والدخول إلى هذه المخاصمات فهذا يؤدي إلى الضلال والتيه



وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: "يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك"

متى قال عبادة بن الصامت هذه الوصية؟

قالها لابنه عند وفاته لما قال له ابنه الوليد: يا أبتِ أوصني فقال: أقعِدوني، فأقعَدوه، فقال هذا الحديث في القدر

"بُني" ← تصغير "ابن" وذلك من أجل العطف والشفقة

"طعم الإيمان":

- حلاوته ولذته
- وذلك لأن الإنسان إذا آمن أن ما يجري عليه فهو بقضاء الله وقدره
- فإنه يستريح لا يجزع عند المصيبة ولا يفرح فرح بطر عند النعمة
- لأنه يؤمن أن هذا بقضاء الله وقدره فيرتاح ضميره وتطمئن نفسه ولا يجزع ولا يسخط

ما هو حال من لا يؤمن بقضاء الله وقدره؟ ← يُصبح في قلق وفي همّ فإذا أصابه شيء فإنه يجزع ويسخط ويلوم نفسه ثم يصبح في عذاب أشد من ألم المصيبة

سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب فقال: رب، وماذا اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة"

ما هو القلم؟ ← هو خلق من خلق الله -تعالى- لا يعلم مقداره وصفته وكيفيته إلا الله -تعالى- لأنه من عالم الغيب

ما هو المكتوب فيه؟ ← اللوح المحفوظ ففيه: قلم وفيه كتابة وفيه مكتوب فيه وهو اللوح المحفوظ

"اكتب كل شيء حتى تقوم الساعة" ← أن كل ما يجري في هذا الكون فهو مكتوب بالقلم -بقلم المقادير- في اللوح المحفوظ من أول الخلق إلى آخر الخلق حتى تقوم الساعة لا يخرج عن هذا شيء في هذا الكون أبداً لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل, لافي الخير ولا في الشر، لا من المحبوب ولا من المكروه، كله مكتوب ولا بد أن يقع



على ماذا يدل قوله -ﷺ-: "إن أول ما خلق الله القلم"؟

يدل بظاهره على أن القلم أول المخلوقات

لكن هناك أحاديث تدل على أن العرش أول المخلوقات

مثل:

حديث عبد الله بن عمرو قال: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء"

وحديث عمران بن حصين في "الصحيحين" وغيرهما ما يدل على أن أول المخلوقات العرش

فكيف الجمع بين الأحاديث؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول

أن أول المخلوقات هو العرش وأن القلم خُلق بعده

فيكون قوله "إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب" أن الكتابة متعقبة لخلق القلم فهي جارية من أول ما خلق الله القلم

القول الثاني

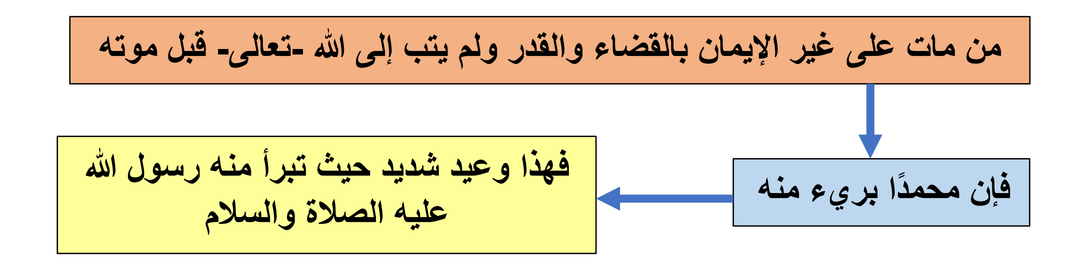
العمل بظاهر الحديث وأن القلم أول المخلوقات مطلقاً قبل العرش

وهذا هو ظاهر الحديث وهذا قول لجمع من أهل العلم

والراجح الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما هو:

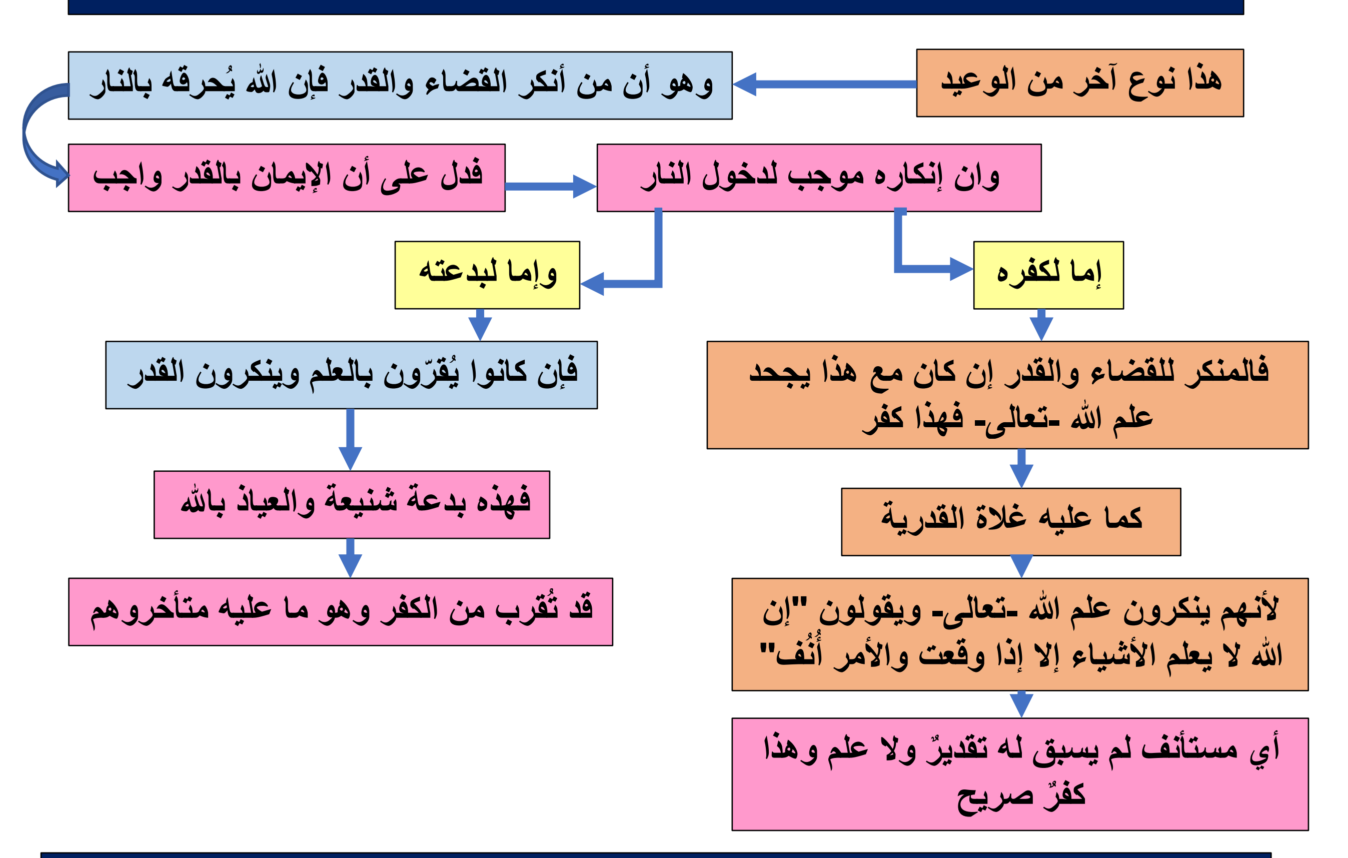
أن العرش هو أول المخلوقات وأن القلم بعده

ثم قال عبادة -رضي الله عنه-: "يا بُني سمعت رسول الله يقول: من مات على غير ِهذا فليس مني"





وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله -ﷺ-: "فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار"



عن ابن الديلمي قال: "أتيت أبيّ بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يُذهبه من قلبي فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم...."

ماذا يفعل طلبة العلم إذا أشكل عليهم شيء؟

- طلبة العلم الذين يبحثون عن الحقيقة ويبحثون عن العلم النافع إذا أشكل عليهم شيء
- لا يعتمدون على رأيهم وإنما يرجعون إلى أهل العلم
- فهذا ابن الديلمي رجع إلى الصحابة حين اشكل عليه أمر القدر

ما الذي يُذهب الإشكال والوساوس؟

- الإشكالات والوساوس تزول بالعلم النافع
- والعلم إنما يُطلب عند أهله
- لا يُطلب عند المتعالمين والصحافيين الذين يعتمدون على قراءة الكتب هؤلاء قُرّاء وليسوا علماء
- فلا بد من الرجوع إلى أهل العلم الراسخين



على ماذا يدل قوله: "لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر"؟

أن العمل وإن كان جليلًا فإنه لا يُقبل إلا إذا صحت العقيدة

ومن صحة العقيدة الإيمان بالقضاء والقدر لأنه من أركان العقيدة

"وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك"

تطابقت كلمة ← أبيّ بن كعب ← مع كلمة ← ابن عمر ← مع كلمة ← عبادة بن الصامت

لأنهم يأخذون من مصدر واحد وهو سنة رسول الله ولا يقولون شيئا من عند أنفسهم

عللي : بعد أن أجاب أبيّ بن كعب الديلمي أحاله إلى ابن مسعود ولما أجابه ابن مسعود أحاله على حذيفة بن اليمان ولما أجابه أحاله على زيد بن ثابت

لأجل أن يزول ما في قلبه

ما يستفاد من احاديث الباب العظيمة:

١ وجوب الإيمان بالقضاء والقدر وأن ذلك من أركان الإيمان الستة

٢ أن الله -تعالى- كتب مقادير الأشياء في اللوح المحفوظ بعد علمه بها أزلًا

٣ أن القلم من أول المخلوقات والراجح أن العرش هو السابق له

٤ أن من لم يؤمن بالقضاء والقدر إما كافر أو مبتدع وذلك لأنه:
- أن الله لا يقبل منه النفقة في سبيله ولو كثرت
- براءة الرسول -ﷺ- منه
- أن الله توعده بالنار

٥ وجوب الرجوع إلى أهل العلم عندما يعرض للإنسان مشكلة

٦ أن أهل العلم لا يقولون إلا بما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام

٧ أن أمور العقائد توقيفية لا يصلح فيها شيء من الاجتهاد

المرجع: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى.